الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

ذكرى ميلاد النبي ?

صورة وسيرة وسريرة

الدكتور: بكر سليمان الزاملي

الأكاديمية العربية الدولية – منصة أعد

توطئة

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

يا آلَ بَيتِ رَسولِ اللهِ حُبُّكُمُ ---- فَرضٌ مِنَ اللهِ في القُرآنِ أَنزَلَهُ

يَكفيكُمُ مِن عَظيمِ الفَخرِ أَنَّكُمُ ---- مَن لَم يُصَلِّ عَلَيكُم لا صَلاةَ لَهُ

في هذا الشهر المبارك تطل علينا نسائم الخير والبركة والنور، الذكرى العطرة، ذكرى مولد سيدنا ﷺ، الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين. تتكرّر ذكرى المولد النبويّ في كل عامٍ في اليوم الثاني عشر من شهرِ ربيعٍ الأول، وقد كان مولده ﷺ مولد خير وبركة للخلق أجمعين، تشرفت فيه الدنيا مبتهجة بمولده، المبعوث رحمة للعالمين. وكان مولده باتفاق أهل السير في يوم الاثنين من شهر ربيعٍ الأول من عام الفيل، لحديث أبي قتادة الأنصاري عن النبي لمّا سُئِل عن صيام يوم الاثنين، قال: (أنَّ أعرابيًّا سألَ رسولَ اللهِ ﷺعن صَومِه.. فذكَرَ الحديثَ، إلَّا أنَّه قال: صَومِ الاثنَينِ؟ قال: ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه، وأُنزِلَ علَيَّ فيه.) رواه مسلم .

الرسول صورة:

قال الصحابي حسان بن ثابت شاعر الرسول في وصف جمال خلقته:

وأجملَ منكَ لم تر قطّ عينٌ وأكملَ منكَ لم تلد النساء

خُلقت مبرءاً من كل عيبٍ كأنك قد خُلقت كما يشاء

وصف النبي ﷺ وردت العديد من الروايات عن الصحابة في صفة النبي محمد بن عبد الله الخَلْقِية، وقد جمع المسلمون ما توارثوه من وصف خِلقة نبيّهم ﷺ في كتب كثيرة عرفت باسم كتب الشمائل، وأشهر هذه الكتب هو «الشمائل المحمدية»، للترمذي. حيث ذكر فيه أحاديث كثيرة في وصفه.

قصة حديث أم معبد رضي الله عنها

عندما كان النبي مهاجرًا من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، ودليلهم عبد الله بن أريقط اشتد بهم العطش، وبلغ الجوع بهم منتهاه، جاءوا إلى أم معبد ونزلوا بخيمتها، وطلبوا منها أن يشتروا لحمًا وتمرًا، فلم يجدوا عندها شيئاً، فنظر النبي ﷺ في جانب الخيمة فوجد شاة، فسألها: يا أم معبد! هل بها من لبن؟ قالت: لا. هي أجهد من ذلك (أي أنها أضعف من أن تُحلب)، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم، إن رأيت بها حَلْبًا، فمسح ضرعها بيده الشريفة، وسمَّى اللَّه، ودعا لأم معبد في شاتها، فدرّت واجترّت، فدعاها وطلب منها إناءً، ثم حلب فيه حتى امتلأ عن آخره، وقدَّمه إليها فشربت، حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رَوُوا، وشرب آخرهم. ثم حلب ثانيًا، وتركه عندها، وارتحلوا عنها. فما لبثت إلا قليلاً حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أَعْنُزًا عجافًا هزالاً، تسير سيرًا ضعيفًا لشدة ضعفها، فلمّا رأى اللبن عجب، وقال: من أين هذا يا أم معبد، والشاة عازب بعيدة عن المرعي، حيال غير حامل، ولا حَلُوبةَ في البيت؟ قالت: مرّ بنا رجل كريم مبارك، كان من حديثه كذا وكذا! قال: صفيه لى يا أم معبد. فقالت:

إنه رجلٌ ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه (أي أبيض واضح ما بين الحاجبين كأنه يضيء)، حسن الخِلقة، لم تُزْرِ به صِعلة (أي لم يعيبه صغر في رأس، ولا خفة ولا نحول في بدن)، ولم تَعِبْه ثجلة (الثجلة: ضخامة البطن)، وسيمًا قسيمًا، في عينيه دَعَج (شدة سواد العين)، وفى أشفاره عطف (طول أهداب العين)، وفى عنقه سَطَع (الطول)، وفى صوته صَحَل (بحّة)، وفى لحيته كثافة، أحور أكحل، أزَجُّ أقرن (الزجج: هو تقوس في الحواجب مع طول وامتداد، والأقرن: المتصل الحواجب)، إن صمتَ فعليه الوقار، وإن تكلم سَمَا وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر (أي كلام بطئ) ولا هَدر (أي سرعة كلام)، وكأن منطقه خرزات نظم تَنحدر (كلامه بيّن وسط ليس بالقليل ولا بالكثير)، رَبْعَة (متوسط الطول) لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قِصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، (تقصد أبا بكر، وابن أريقط؛ لأن عامر بن فهيرة كان بعيدًا عنهم يعفى آثارهم) أحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود (يحفه الناس ويخدمونه). لا عابس ولا مُفنّد (ضعيف الرأي)، فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش، الذي ذُكر لنا من أمره ما ذُكر بمكة، ولو كنت وافقتُه لالتمستُ صحبته، ولأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً، فأعدت أم معبد وزوجها العدة؛ كى يلحقا برسول الله في المدينة، وهناك أسلما، ودخلا في الإسلام.

وكان مما جاء في كتب الشمائل مفرقًا:

جسمه: كان فخما مفخمًا، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه. وكان رجلاً مربوعًا، ليس بالطويل ولا بالقصير، وكان إلى الطول أقرب، لم يكن يماشي أحدًا من الناس إلا طاله، ولا جلس في مجلس إلا يكون كتفه أعلى من الجالسين. وكان معتدل الخَلق، حسن الجسم، متماسك البدن، أنور المتجرد (ما تجرد من جسده).

لونه: كان أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق (أي لم يكن شديد البياض والبرص)، ولا بالآدم (الأسمر).

رأسه وشعره: كان ضخم الرأس، عظيم الهامة. كان شديد سواد الشعر ولم يكن شعره بالجعد القَطَط (شديد الجعودة) ولا بالسَّبِط (المرسل)، كان جعدًا رِجلا (فيه تثن قليل). وكان شعره يصل إلى أنصاف أذنيه حينًا ويرسله أحيانًا فيصل إلى شَحمَة أُذُنيه أو بين أذنيه وعاتقه، وغاية طوله أن يضرب مَنكِبيه إذا طال زمان إرساله بعد الحلق. ولم يحلق رأسه بالكلية في سنوات الهجرة إلا عام الحديبية، ثم عام عمرة القضاء، ثم عام حجة الوداع. كان يرسل شعره، ثم ترك ذلك وصار يفرقه من وسط الرأس. توفي وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

عنقه: كانت عنقه كأنها جيد دُمية في صفاء الفضة.

ذراعاه ويداه: كان طويل الزندين (الذراعين) أشعرهما (كثيرا الشعر)، رحب الراحة (الكف) شثن الكفين والقدمين (غليظ الأصابع)، سائل الأطراف (أصابعه طويلة ليست بمنعقدة).

إبطاه: كان أبيض الإبطين، وهي من علامات النبوة.

منكباه وصدره وبطنه: كان منكباه واسعين، كثيري الشعر، وكذا أعالي الصدر.. سواء البطن والصدر، عريض الصدر. طويل المسربة موصول ما بين اللبة (النقرة التي فوق الصدر) والسرة بشعر يجري كالخيط.

مفاصله: كان ضخم الكراديس (المفاصل).

خاتم النبوة: غُدّة حمراء مثل بيضة الحمامة، أو مثل الهلال، فيها شعرات مجتمعات كانت بين كتفيه. وهي من علامات النبوة.

وجهه: كان أسيل الوجه (المستوي) سهل الخدين ولم يكن مستديرًا غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة.

جبينه: كان واسع الجبين. (ممتد الجبين طولاً وعرضًا) مستويًا.

حاجباه: كان حاجباه قويين مقوَّسين، متّصلين اتصالاً خفيفًا، لا يُرى اتصالهما إلا أن يكون مسافرًا وذلك بسبب غبار السفر. بينهما عرق يدرّه الغضب.

عيناه: كان أشكل (طويل شِق العينين) أدعج (شديد سواد العينين) في بياضها حمرة (عروق حمر رقاق) وهي من دلائل نبوته. وكانت عيناه واسعتين جميلتين. ذات أهداب طويلة (الرموش) كثيرة حتى تكاد تلتبس من كثرتها. إذا نظر إليه الشخص قال أكحل العينين وهو ليس بأكحل

أنفه: يحسبه من لم يتأمله أشم ولم يكن أشم (الشمم ارتفاع في قصبة الأنف مع استواء أعلاه وإشراف الأرنبة قليلا)، وكان مستقيمًا، أقنى (طويلاً في وسطه بعض ارتفاع)، مع دقة أرنبته (هي ما لان من الأنف).

فمه وأسنانه: كان ضليع الفم (واسع)، أحسن الناس شفتين وألطفهم ختم فم. أشنب (في أسنانه رقة وتحدد) مفلج الأسنان (متفرق الأسنان) إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه.

لحيته: كان حسن اللحية، كثّ اللحية (كثير منابت الشعر)، وكانت عنفقته (هي الشعر الذي يظهر تحت الشفة السفلى وفوق الذقن) بارزة وحولها كبياض اللؤلؤ، في أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يصل اللحية.

قدماه: كان ضخم القدمين، يطأ الأرض بقدمه كلها ليس لها أخمص (الجزء المرتفع عن الأرض من القدم)، وكان منهوس العقبين (قليل لحم العَقِب).

الرسول سيرة واخلاق:

اتصف رسول الله ﷺ بالعديد من الأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة، والتي لا يمكن حصرها، وفيما يلي ذكر بعضها دون حصر لها:

الصدق:

شهد لرسول الله ﷺ جميع الناس بالصدق، حتى أنّ النضر بن الحارث وهو أشدّ الناس عداوةً لرسول الله؛ قال لسادة قريش ذات مرة: "يا معشر قريشٍ، إنّه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أَتَيْتُم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيْهِ الشيب وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر؛ لقد رأينا السحرة ونَفْثَهُم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وتَخَالجُهم، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلّها؛ هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، فانظروا في شأنكم فإنّه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ"، فكان عليه الصلاة والسلام صادقاً مع نفسه، وأهله، وأصحابه، حتى مع أعدائه، فلم يتحدّث بأي كذبة قط.

الرحمة:

اتصف النبيّ ﷺ بالرحمة، وقد ظهر ذلك جليّاً منذ اللحظة الأولى في الإسلام، فكان رحيماً بأمته ألا يدخلوا النار معذّبين، فقال –عليه الصلاة والسلام–: (ألَا وإنّي آخِذٌ بحُجَزِكم أن تهافَتوا في النَّارِ كتَهافُتِ الفَراشِ أو الذُّبابِ)، كما كان –عليه الصلاة والسلام– رحيماً بالفقراء، حيث ضحّى يوم عيد الأضحى عن نفسه وعن من لم يضحِّ من أمته، ومن مظاهر رحمته أيضاً سؤاله –عليه الصلاة والسلام– لله –عزّ وجلّ– التخفيف في الصلاة حتى وصلت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وذلك بعد أن كانت خمسين صلاة؛ رحمة في أمته، وقد شهد الله تعالى لنبيه بصفة الرحمة، فقال في كتابه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). ويوم ان صنع له منبرا ترك الجذع الذي كان يخطب عليه فسمع للجذع حنين وبكاء كبكاء الطفل فنزل اليه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن، فقال الشاعر:

حن اليه جذع وهو جماد --- فعجيب ان تجمد الاحياء

التواضع:

عُرِف رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بتواضعه الكبير، فلم يكن لرفعة منزلته وعلو مكانته أيّ تأثير على تواضعه -عليه الصلاة والسلام-، حيث كان أبعد الناس عن الكبر والبطر، فقد كان -صلّى الله عليه وسلّم- يخفض جناحه لأصحابه -رضي الله عنهم أجمعين-، ويجلس بينهم كأنّه واحد منهم، حتى كان يأتي من يسأل عن رسول الله فلا يستطيع تمييزه من بينهم، حتى يسأل عنه فيتعرّف عليه، وقد شهدت عائشة -رضي الله عنه- على تواضعه عندما سُئلت عن فعل رسول الله في بيته، فأجابت أنّه كان في خدمة أهله؛ حتى إذا دخل وقت الصلاة خرج لها، ومن مظاهر تواضعه أيضاً أنه كان يقضي حاجته بنفسه، بل يقضي حاجات الناس أيضاً.

الحياء:

كان النبيّ ﷺ من أشدّ الناس حياءً، حتى وصفه أبو سعيد الخدري فقال: (كانَ رَسولُ اللهِ ﷺأَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا)، ومن المواقف التي ظهر فيها حياء رسول الله جليّاً؛ عندما سألته إحداهن عن كيفية التطهّر من الحيض، فأجابها -عليه الصلاة والسلام- أن تأخذ قطعة من القماش، وتتبع بها أثر الدم، فلم تفهم عليه المرأة، فأعادت عليه السؤال مرةً أخرى، فأعاد عليها الإجابة ذاتها، فلم تعِ منه قوله، فأعادت السؤال للمرة الثالثة، فاستحيا منها -عليه الصلاة والسلام- وأعرض عنها، وكانت عائشة -رضي الله عنها- شاهدةً في الموقف، فاقتربت من المرأة وأجابت على سؤالها حتى فهمت.

الصبر:

وهي من أكثر الصفات التي كانت ملازمة للنبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، فكان الصبر ملازماً له في دعوته للإسلام من اللحظة الأولى إلى وفاته، فقد صبر على مشركي مكة، والمنافقين واليهود، وتحمّل كل ما تعرّض له من قِبلهم، من جميع أنواع الأذى والظلم والتعذيب، كما أنّه صبر على وفاة أحبابه من جدّه، وعمّه، وأحب زوجاته، وأبنائه –عليه الصلاة والسلام–، فيُذكر أنّه –عليه الصلاة والسلام– قال عند وفاة ابنه إبراهيم: (إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ، ولَا نَقُولُ إلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وإنَّا بفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)، وقد كان –عليه الصلاة والسلام– دائم التذكير لأصحابه في أهمية الصبر، فقد جاءه خباب بن الأرت يوماً يشكو له الظلم والقهر، فقال له –عليه الصلاة والسلام–: (كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ).

- كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس؛ كريماً سخياً، يعطي دون أن يخشى الفقر.
- كان عليه الصلاة والسلام حليماً؛ يعفو ويصفح عن كل من يسيء إليه، لا يحتقر أحداً، ولا يقابل السيئة بالسيئة.
- كان عليه الصلاة والسلام أعدل الناس، لا يأكل حق أحد، يحكم بشرع الله، ويقيم حدوده، ولو كان على أقرب الناس إليه.
- كان عليه الصلاة والسلام شجاعاً، لا يخشى أحد، ثابتاً على موقفه، يتصدى المواقف الصعبة، ويشارك في الغزوات، ويواجه أعداءه وخصومه بكل قوة وثبات.
- كان عليه الصلاة والسلام متعاوناً، يساعد الآخرين، ويحب تقديم النفع لغيره.

الرسول سريرة

الناظر في السيرة النبوية المشرفة يجد صورًا وأمثلة كثيرة تدل على مدى حب النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وحب النبي صلى الله عليه وسلم من سريرته وهمه على أمته نذكر منها:

دعوته لأمته في كل صلاة:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ»، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حَجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟» فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ» (صحيح ابن حبان).

شفاعته لأمته:

أعطى الله عز وجل كل نبي من الأنبياء دعوة، أعلمهم أنها تُستجاب لهم، فنالها كل نبي في الدنيا، لكن نبينا صلى الله عليه وسلم ادَّخر دعوته إلى يوم القيامة؛ ليشْفَع لأمته بها عند الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل ومشهور في الشفاعة، قوله: « يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ..» (صحيح البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا» (صحيح مسلم).

شفقته على أمته:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [إبراهيم:36]، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة:118]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ" (صحيح مسلم).

قال النووي: "هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد، منها: بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا» (صحيح البخاري).

حكم الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

أولاً/ القائلين بالجواز:

نذكر بعض أقوال العلماء العاملين الذين استندوا إليها في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وهي:

أولا: النبي صلى الله عليه وسلم احتفل بذكرى مولده؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل صوم يوم الاثنين، فقال: "هذا يومٌ وُلدتُ فيه وأُنزلَ عَليَّ فيه."

يقول الله سبحانه وتعالى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا. هو خير مما يجمعون سورة يونس الآية: 58.، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "فضلُ الله": العلم، و"رحمتُه": محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وأعظم نعم الله علينا الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم، والاحتفال بمولد خير البرية صلى الله عليه وسلم مظهر من مظاهر الفرح المستحب عرفا وعقلا وشرعا.

يقول الإمام المحدث الفقيه أبو شامة شيخ الإمام النووي: "ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يُفعل كل عام في اليوم الموافق لمولده صلى الله عليه وآله وسلم من الصدقات، والمعروف، وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مشعرٌ بمحبته صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكراً لله تعالى على ما منّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين". الباعث على إنكار البدع ج1، ص23.

. الإمام الشهاب أحمد القسطلاني شارح البخاري: الذي قال: "فرحم الله امرءًا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وإعياء داء." المواهب اللدنية 1/148.

. الحافظ السيوطي كتب كثيرا حتى قال: "هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيها من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف." حسن المقصد في عمل المولد، جلال الدين السيوطي، ص4.

. الإمام مالك بن أنس عندما يأتي الربيع النبوي يخصه للحديث، يروي الحديث محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سؤال يدور في الذهن: لِمَ لم يحتفل الصحابة رضوان الله عليهم بالمولد النبوي الشريف؟

لأنهم كانوا قريبي عهد بزمن النبوة، وكانت سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم حية وحاضرة، فلما طال العهد بدأ الناس ينسون شمائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان من الناس إلا أن قالوا: نجتمع في يوم المولد النبوي على المذاكرة في سيرته صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: القائلين بالمنع والوصف بالبدعة:

من العلماء المعاصرين من يبدع الاحتفال بالمولد النبوي : الشيخ صالح الفوزان فقال: لا يخفى ما ورد في الكتاب والسنة من الأمر باتباع ما شرعه الله ورسوله، والنهي عن الابتداع في الدين، قال – تعالى – :(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) [آل عمران : 31]، وقال – تعالى – : (اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ولا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) [الأعراف : 3]،، وقال – تعالى – :(وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) [الأنعام : 153]، وقال –صلى الله عليه وسلم– : إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وقال –صلى الله عليه وسلم– : من أحدث في أمرنا هـذا ما ليس منه فهو رد، وفي رواية لمسلم : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد..

وإن مـن جملة ما أحدثه الناس من البدع المنكرة الاحتفال بذكرى المولد النبوي في شهر ربيع الأول فالباعث على تبديع ذلك الامر فيجعل هذا الاجتماع مشتملاً على محرمات ومنكرات من اختلاط الرجال بالنساء والرقص والغناء، أو أعمال شركية كالاستغاثة بالرسول –صلى الله عليه وسلم– وندائه والاستنصار به على الأعداء وغير ذلك، وهو بجميع أنواعه واختلاف أشكاله واختلاف مقاصد فاعليه لا شك ولا ريب أنه بدعة محرمة محدثة بعد القرون المفضلة بأزمان طويلة؛ فأول من أحدثه الملك المظفر أبو سعيد كوكبوري ملك إربل في آخر القرن السادس أو أول القـرن السابع الهجري، كما ذكره المؤرخون كابن كثير وابن خلكان وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (2/123): "وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي وتعظيماً.. من اتخاذ مولد النبي عيداً. مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيراً، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للرسول ، وتعظيم له منا، وهم على الخير أحرص...".

وقد ألف الفاكهاني رسالة "المورد في عمل المولد" وأنكر هذه البدعة وقال: "لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون" إلى آخر ما قال رحمه الله من كتاب "رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي(1/ 9.8)"، تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

وألف الشيخ إسماعيل الأنصاري رسالة ضخمة بما يقارب (600) صفحة وذكر أن الاحتفال بالمولد بدعة، وردّ على معظم الشبه التي يثيرها أدعياء هذه البدعة في رسالته "القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل".

وممن أنكر هذه البدعة الإمام الشاطبي في كتابه "الاعتصام".

والشيخ محمد بشير السهسواني الهندي في كتابه "صيانة الإنسان".

والشيخ ابن باز، ومحمد ابن إبراهيم وجمع من العلماء المتقدمين والمتأخرين . رحمهم اللهـ. وغيرهم.

الخلاصة:

أَنَّ مَن احتفل بيوم مولده صلّى الله عليه وسلّم؛ فسرد سيرته العطرة وذكّر بمناقبه العلية، ولَم يُلبِسه بِشَيءٍ مُنافٍ للشَّرعِ من البدع المذمومة، كالاختلاط المحرم بين الرجال والنساء، والموسيقى والتمسح بالقبور والمقامات .... فلا حرج ، وقد قال بذلك حشد كبير من أهل العلم . فحن في زمن كثرت فيه الإساءات لنبي الإسلام صلى الله عليه و سلم و اتسعت فيه دائرة العداء للإسلام و فلا ضير تحت دافع الاضطرار للرد على الكفار و شد أزر الأنصار أن يظهر المسلمون حبهم للرسول صلى الله عليه و سلم بنشر سنته في يوم ميلاده صلى الله عليه و سلم ،إعلاء لشأنه و إرغاما لأنوف أعدائه ، عملا بقوله تعالى : " محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا".

والأصل من الطرفين (المؤيد وغير المؤيد) التزام أدب الاختلاف في المسألة ومراعاة الاجتهاد فيها ، فالأمة أحوج للتركيز على المتفق عليه وننصح أهل العلم بعدم الزّج بالعوام من النّاس للخوض في مسائل خلافية لا طائل من وراء الخوض فيها، خصوصاً إذا كان الخلاف فيها قديماً ولم يحسم في زمن الصّفاء والنّقاء !! أفلا يسعنا ما وسع أسلافنا من العلماء !! وننشغل في قضايا كبرى ملحة أخرى تتعلق بمصير ومستقبل الأمة بحاجة إلى بحث ومعالجة وحوار،،

فالله المستعان وعليه الثكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أخوكم/ د. أبي عبد الله بكر بن سليمان الزاملي

دكتوراه الحديث وعلومه ومقرئ القراءات العشر المتواترة والزوائد

ومسند بعلم رسم المصاحف العثمانية وبمتون السنة المطهرة